



إبارةشبة جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات

أبريل ٢٠١٧

أبنائي الأحباء،

إذ نتقرب من عيد القيامة المبارك، أفكر في الرحلة التي بدأناها منذ بضعة أسابيع مضت، وأتساءل إلى أي حد قام كلاً منا بملء خزينه الروحي حتى الآن؟

غالباً ما نبدأ الصوم الكبير بإحساس أنه رحلة طويلة، ونهايتها بعيدة. ومع ذلك فبمجرد اقترابنا من نهايته، فإن ما كنا نظنه سيكون رحلة طويلة نجدتها انتهت أسرع كثيراً من المتوقع، ثم نجد أنفسنا ننظر إلى الوراء بأسفٍ، متمنين لو كنا قد استخدمنا وقتنا بحكمة، واعددين أنفسنا أن نكون أقوى في العام المقبل.

أحبابي، إن الوقت هو هبة يمنحنا إياها الله، وكما يقول القديس اسحق السرياني: "قد أُعطيَت لك هذه الحياة للتوبة. فلا تضيعها في المساعي التي بلا جدوى".^(١) من حقائق الحياة أن أي رحلة تبدأ في وقت ما، وتنتهي في وقت آخر. ومع ذلك فإن وقت نهايتها غير معروف لأياً منا. ولذلك، فنحن مدعوون لأن نحيا كل يوم "كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ" (أفس ٤: ١)، حتى نكون "مُحْفُوظِينَ بِأَلْوَمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١ تس ٥: ٢٣).

وكباقي الرحلات الأخرى، فإن رحلة الحياة الرهبانية أيضاً لها بدايتها. المرحلة الأولى منها تسمى "فترة المبتدئين". وهي مرحلة يُعطى فيها المبتدئ اسم جديد كإشارة لبداية حياة جديدة، ويُشار إليه بـ "الأخ" أو "الأخت"، وينضم إلى مجمع من الرهبان الذين سبقوه في هذا الطريق. الهدف الرئيسي لهذه الفترة هو بناء أساس متين، والذي بعد ذلك، سوف يعمل على تقوية وتعزيب المبتدئ في جميع المراحل التالية.

والسؤال هنا: كيف يقوم الفرد ببناء هذا الأساس؟

من أجل بناء هذا الأساس، ينبغي على المبتدئ الجهاد منذ اليوم الأول. لا أقصد أن المبتدئ في الرهبنة ينبغي أن يكون على قدر مُعَيَّن من المعرفة أو الكمال، لكن عليه فقط أن يبدأ. وهذا يعني أنه لا يهتم درجة قوة أو ضعف الشخص عند بداية انخراطه في السلك الرهباني، فنحن لن يمكننا أن نعتبر أننا قد بدأنا اليوم الأول في جهادنا إلا عندما نكون قد تخلينا عن حياتنا السالفة، وتحررنا من طرقنا السابقة، وبكامل إرادتنا قد تغربنا عن العالم. وأشير إلى هذا بلفظة "الجهاد"، لأنه حقاً هكذا. وبالطبع، هذه فترة نعمة جزيلة، ولكن لو توقع المبتدئ أنه ترك العالم، وكل وسائل راحته، لكيما ينضم إلى عالم جديد بكل وسائل الراحة المتاحة فيه، وأنه سوف يفعل كل شيء حسب مشيئته/ مشيئتها الخاصة، فكل من يفعل ذلك هو مخدوع.

بغض النظر عن خلفية المبتدئ، لا ينبغي للمرء بعد دخوله إلى الحياة الرهبانية أن يتم التعامل معه طبقاً لمعايير العالم. والشيء الوحيد الذي ينبغي أن يتوقعه، هو أن يسلك في الطاعة باتضاعه، حتى يمكن أن يتنقى من خلال ما يختاره له الله.

أحبابي، فلنتيقظ ونراقب طرقنا، كيف نسلك؟ ... عندما تسقط، تُب وقم مرة أخرى، وصل لكي يمنحك الله أدناً صاغية لكيما تسمع صوت الروح القدس ولكي لا تقبل سلوكاً غير لائق بمسيحي، ناهيك عن مبتدئ.

في أيام جيلنا الرهباني كان المبتدئ هادئاً، متضعاً، ويعتبر نفسه خادماً للجميع. لم يكن يجادل، ولم يكن يتذمر، ولا يطالب بحق ما، ولكن كانت كلمتي "حاضر" و "أخطأت" دائماً على شفثيه. يطلب المغفرة إذا أخطأ، ويطيع، ويفعل ما كان يُطلب منه. لم يكن يتحدث إلى أخوته بطريقة غير لائقة، لأنه كان يعتبر أن كل الذين قد بدأوا الجهاد قبله هم شيوخاً بالنسبة له، وأن أولئك الذين جاءوا بعده هم مساويين له. كان بالحقيقة مبتدئاً، ولأنه كان مؤمناً أنه مبتدئاً كان قادراً على التعلم والاستفادة من الجميع.

إن بداية أي رحلة تكون هامة للغاية، فعلينا أن نحرص على البدء بأمانة وأن تكون أمانتنا وفقاً لوصايا الله، وتناسب طريقنا الرهباني. إذا دُعينا "أخ" أو "أخت" فيجب علينا أن نكون أمناء في دعوتنا. وهناك قولاً شائعاً بأن: "ليس للراهب حقوق ولكن عليه واجبات". فإن كان ينبغي أن ينطبق هذا على حياة الراهب في كل مراحلها، إذن فكم وكم يكون هذا بالنسبة للمبتدئ؟! اسعَ جاهداً لتكون متضعباً، وكن مطيعاً لكيما يمكنك أن تجني ثمار هذه المرحلة المباركة، وأن تبني أساساً متيناً. عند بداية دخولنا الدير، نجلب معنا العديد من الأمراض الروحية مثل الكبرياء، الرغبة في المجد والسلطة، الأنانية، الفضول، الغضب، المشيئة الذاتية، الغيرة والحسد، الشره والكسل، الثرثرة والتعلق بالماضي... وربما لم نكن على علم بأننا مصابون بالكثير من هذه الأمراض. ومع ذلك، إن سرنا بأمانة في الطريق فحتى لو كنا مصابين بأي نوعٍ من هذه الأمراض الروحية فينبغي علينا أن نفرح لأن عملية الشفاء تكون قد بدأت.

أبنائي الأحباء، أود أن تدرِكوا أن أخوتكم الذين انضموا إلى الدير قبلكم كانوا هم أيضاً في حالة مشابهة، ولكن ربما بأمراضٍ تختلف عن أمراضكم، ولذلك يجب أن نكون حريصين على مساعدة بعضنا البعض... كونوا مدركين إن الشيطان يحاول زرع الانقسامات بيننا ليفصلنا عن الله.

ومن أقوال الأنبا بيساريوس التي تساعدنا على تذكر هذا: "أصمت ولا تقارن نفسك بالآخرين".^(٢) إن فترة المبتدئين هي وقت التدرب والتعلم... وقت بناء الأساس القوي... وقت النمو. وينبغي على المبتدئ أن يغمس في قراءة الكتب الرهبانية وحفظ أقوال الآباء الشيوخ من أجل السعي إلى التشبه بفضائلهم، ولأجل أن يجد ما يسعفه بالإرشاد المناسب في الأوقات الصعبة. على سبيل المثال، إذا واجه المبتدئ تحدياً ما، فيمكنه تذكر قول الأب زكريا: "برأيي يا أبت، الراهب هو من غضب نفسه في كل شيء".^(٣) كما أنه أيضاً ألقى بملابسه على الأرض وداسها، وقال: "إذا لم ينسحق الإنسان هكذا لا يقدر أن يصبح راهباً"^(٤)... تساعدنا قراءة هذه الكلمات باستمرار على تذكيرنا بأن آباؤنا الأولون جاهدوا كل يوم من أجل التشبه بربنا يسوع المسيح في فضيلة الاتضاع، وسوف تشجعنا على السير على نفس هذا النهج. علاوة على ذلك، ينبغي على المبتدئ أن يتعلم كيف ينمو، وأن يمكث في قلايته، فعلى الرغم من أن هذا قد يكون غير مرغوباً بالنسبة له في البداية، ولكن من خلال الصبر والعمق في الصلاة، سوف يشعر المبتدئ أخيراً بأنه مثل "السمكة التي إذا بقيت مدة على اليابسة فإنها تموت"،^(٥) وذلك عندما يظل خارج قلايته لفترة طويلة. يمكن للمرء أن يقول: "أن المجمع يساعد على تشخيص أمراض الراهب، والقلاية هي المكان الذي يجد فيه علاجه". كما قال الأنبا موسى: "إذهب واجلس في قلايتك، وهي تعلمك كل شيء".^(٦)

لقد ذكرت فقط بعضاً من النقاط التي يجب تعلمها خلال المرحلة الأولى من الحياة الرهبانية من أجل بناء أساس متين. ويجب أن يكون المبتدئ حريصاً على طلب الإرشاد قبل القيام بأي عمل. يحذرنا الآباء من أن هناك خطراً كبيراً في إبتاع إرادة الذات، وفي ذلك قال الأنبا أنطونيوس: "إذا كان ممكناً، فليكشف الراهب للآباء كل خطواته وكل قطرات الماء التي يشربها في قلايته، لكي يتأكد من أنه لا يخطأ".^(٧) يجب ألا ننسى أبداً أنه فقط من خلال نعمة الله قد خرجنا من العالم، وينبغي علينا أن نجاهد دائماً بأمانة: "لَيْسَ أَنِّي قَد نَلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلاً، وَلَكِنِّي أَسْعَى لِعَلِّي أُذْرِكُ النَّيِّ لِأَجْلِهِ أَدْرِكُنِي أَيْضاً الْمَسِيحُ يَسُوعُ" (في ١٢:٣)

أحبائي... إذا أردنا أن نُشفي، فيجب علينا أن نسعى جاهدين كل يوم لبناء أنفسنا بما يليق بنذورنا الرهبانية، وأن نقبل كل ما يأتي علينا بشكرٍ، لأن الشفاء يأتي فقط من خلال الضيقات والتجارب، وإلا إذا كنا نشكو ونتدمر، فذلك يعني أننا لا نرغب في أن نتنقى، بل بالأحرى أننا نحب ذلك الشكل الخارجي، وطريقة الحياة الرهبانية، ولكن ليست لدينا الرغبة في تحقيق أي تقدم أو تغيير من الداخل. تذكروا أنه مكتوب: "لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَقْعُلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ٧: ٢١).

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله إلى أبد الأبد. آمين.

(٢) أقوال الآباء الشيوخ، الأب بيساريوس (بيروت: منشورات النور، ١٩٩٨) ص ٨٦. (٣) المرجع السابق - الأب زكريا - ص ١١٣.

(٤) المرجع السابق - الأب زكريا - ص ١١٣.

(٥) المرجع السابق - القديس أنطونيوس الكبير - ص ٤٠.

(٦) المرجع السابق - الأب موسى - ص ١٨٩.

(٧) المرجع السابق - القديس أنطونيوس الكبير - ص ٤٦.